سر النصرة على الخطية

Frederick Brotherton Meyer

(8 April 1847 – 28 March 1929)

الواعظ والكاتب البليغ (ف.ب. ماير)

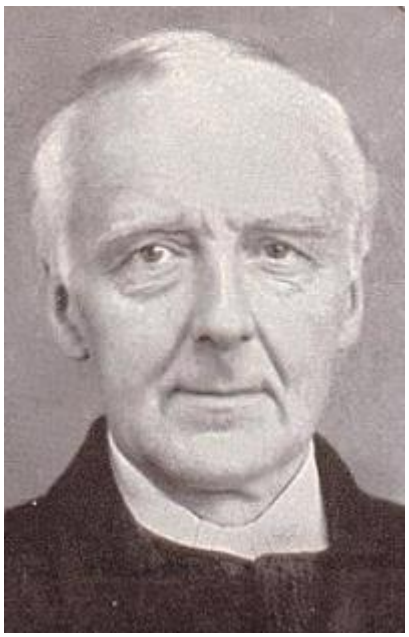

Frederick Brotherton Meyer (8 April 1847 – 28 March 1929)

كلما طالت حياتي ووقفت على اختبارات معظم المؤمنين ، ازددت شوقاً لمساعدتهم لأكشف لهم عن حياة السلام والقوة والنصرة على الخطية ، تلك الحياة التي جعلها أبونا السماوي ميسورة لنا . هنالك أسرار مباركة في الكتاب المقدس مخفية عن الحكماء والفهماء ، ولكنها مُعلنة للأطفال ، تلك التي لم تراها عين ولم تسمع بها أذن ولم تخطر على بال إنسان ، ولكن الله أعلنها بروحه للذين يحبونه ، وهذه حالما نفهمها فإنها تمسح الكثير من الدموع وتنير الكثير من الطرق المظلمة. إن أشد الاختبارات مرارة مع أغلب المؤمنين هو وجود الخطية وسلطانها. إنهم يتوقون إلى أن يسلكوا في هذا العالم القذر بقلوب نقية وثياب طاهرة ، ولكنهم عندما يريدون أن يفعلوا الخير يجدون الشر حاضراً أمامهم . إنهم يُقرون بأن ناموس الله صالح ويمتدحونه ، بل إنهم يسرون به بحسب الإنسان الباطن ، ويحاولون أن يحفظوه ، لكنهم رغم كل ذلك يجدون أنفسهم عاجزين عن إتمامه كإنسان قد أصيب بالشلل ، عاجزين عن السلوك المستقيم . يالينابيع الدموع التي تساقطت على صفحة مزمور التوبة (مز٥١) التي ذرفها كل الذين استطاعوا ترديد كل كلماته من عمق القلب ! ويالأقدام المجهدة التي وطئت قنطرة التنهدات (إن جازت هذه التسمية للأصحاح السابع من رسالة رومية التي تُبرز أمامنا في صورة واضحة اختبار الإنسان الذي لم يتعلم بعد أسرار الله!

يقيناً إن إلهنا قد أعد العدة لمواجهة كل هذا . إنه لا يعقل أن يملأنا ببغض الخطية والحنين إلى القداسة إن لم يكن قد أعد العدة للنجاة من بطش الخطية والوصول إلى القداسة . لسنا في حاجة إلى أن يخلصنا من أن نخطىء في العالم الآخر ، لكننا في أشد الحاجة إلى الخلاص من الخطية الآن ، في هذا العالم المظلم . إننا نحتاج إلى الخلاص من محبة العالم ، لكي نستطيع أن نجذبه إلى حياة القداسة ونقنعه بضرورتها . إننا نحتاج إلى الخلاص من أجل سلامنا الذي لا يمكن أن يكمل طالما كنا نتن تحت نير أقسى من نير فرعون . إننا نحتاج إلى الخلاص من أجل مجد الله ، الذي يمكن حينئذ أن تعكسه حياتنا ببهاء وقوة كما يعكس المعدن المصقول أشعة الشمس.

إذاً فما الذي تدفعنا إليه كلمة الله لنتوقعه ؟

قبل أن يبدأ إبراهيم سيره في أرض الموعد ، في طولها وعرضها أمره الله قائلاً : " ارفع عينيك وانظر " (تك 13: 14) وقبل أن تبدأ التمتع بامتيازاتنا في الرب يسوع المسيح يجب أن تعرف ما هي ، في طولها وعرضها ، وعمقها وارتفاعها :

(1) يجب ألا نتوقع أننا سنتحرر من التجارب:

إن خصمنا ، إبليس ، يجول دائماً كأسد زائر ملتمساً من يبتلعه (1 بط 5: ٨) لقد جرب ربنا ، ولذلك فإنه سيُجرّبنا ايضاً. سوف يغرينا لعمل الشر بكل الحواس ، بالنظر والسمع واللمس والشم والذوق ، وإن لم يهاجمنا بنفسه فإنه سيدفع إلينا واحداً من عملائه فيقف خلفنا ويوحي إلينا بالكثير من الأفكار الشريرة التي نظن أنها نشأت من عقولنا .على أن التجربة ليست خطية . قد يأتيني شخص ويطلب مني أن أشترك معه في سرقة ، لكنني عندما أرفض طلبه فلا يستطيع أحد أن يتهمني بالسرقة . كان ربنا مجربا في كل شيء، مثلنا ، لكنه كان بلا خطية (عب4 : ١٥). أنت تستطيع أن تجوز جهنم نفسها المليئة بكل أنواع الشرور ومع ذلك لا تخطيء، طالما كانت الإرادة ترفض الاستجابة لايحاءات التجربة فلا خطية في ذلك. بل إن التجربة قد تكون بركة للإنسان عندما تُعلن له ضعفه وتدفعه إلى المخلص القدير ، فلا تعجب أيها المؤمن العزيز إن كنت تجرب في كل مراحل حياتك الأرضية، وتكاد تكون التجربة فوق طاقة الأحتمال ، فإنك لا يمكن أن تجرب فوق ما تستطيع أن تحتمل ، بل سيكون هنالك مع كل تجربة منفذ للنجاة.

(2) ويجب أن لا نتوقع بأن نتحرر من طبيعتنا الخاطئة:

عندما تُولد ثانية يضع الروح القدس في داخلنا حياة جديدة ، حياة إلهية ، لكن الطبيعة القديمة ، التي تسمى " الجسد " في الكتاب المقدس ، لا تنتزع . قد يحتويهما القلب الواحد : « الجسد يشتهي ضد الروح ، والروح ضد الجسد » (غل5: ١٧) . ووجود هذه الطبيعة القديمة في قلوبنا قد يتبين من اندفاعنا نحو الخطية عندما تأتينا التجربة من

الخارج . قد تكون ساكنة كالموت أمام قوة الحياة الجديدة المتزايدة ، لكنها لا تزال كامنة في أعماق طبيعتنا تنتظر الفرصة لكي تسترد قوتها لخزينا وضررنا.

لا تتجاهل وجود الطبيعة الخاطئة في داخلك بميولها الشريرة وإمكانياتها لارتكاب الخطية . لقد ضَلَّلَتْ الكثيرين هذه الفكرة وهي أن أصل الخطية قد أنتزع من قلوبهم ولذلك فإنهم لا يمكن أن يعودوا ثانية للخطية ، وكانت نتيجة هذه الأفكار أتهم اصيبوا بالإهمال والتراخي وعدم السهر . وأمام ثورة طبيعتهم القديمة فجأة امتلأوا حزناً وخزياً ، حتى وإن لم يكونوا قد سقطوا في خطية مشينة جدا .« إن قلنا انه ليس لنا خطية نضل أنفسنا وليس الحق فينا (١يو1: 8). هنالك فرق بين الخطية والخطايا . فالخطية هي أصل ومنبع الشر ، هي الجسد ، حياة الذات القديمة ، هي الميل للشر ، وهذه يمكن إخضاعها بواسطة نعمة الله ، لكنها تبقى فينا ، ولو في حدود ضعيفة ، إلى أن نترك هذا العالم . أما الخطايا فهي نتيجة الخطية ، هي المظاهر العملية للطبيعة القديمة التي في الداخل ، ونحن نستطيع أن نتخلص من هذه كل يوم بواسطة نعمة المسيح (مت 1: ٢١) . ولزيادة الإيضاح نقول إن الخطية لا تموت فينا ، لكننا نستطيع أن نموت عن الخطية ، وبذلك لا تثمر ثمار الخطايا الميتة.

(3) ويجب أن لا نتوقع التحرر من احتمال السقوط في الخطية :

ما هي الخطية ؟ هي استسلام الإرادة للتجربة. إنه من العسير جداً التعبير عن ميول قلوبنا في الداخل . لكن لا نحس بشي، مثل هذا عندما نجرب ؟ قد تداهمنا التجربة فجاة باغراءاتها القوية ، وللحال قد تتحرك الطبيعة القديمة وتثور وتتذبذب كما تتذبذب أوتار الكمان أو البيانو استجابة لأية اصوات في الجو المحيط . لا يشعر البعض بهذه الاستجابة الثائرة، والبعض يشعرون ، على أنني أعتقد بأن هذه الاستجابة يمكن أن تضعف قليلاً عندما نعالجها بإهمالها بصفة مستمرة ، إلى أن تكاد تصبح غير محسوسة في حياة القديسين الذين نضجوا في الإيمان . وهذه الاستجابة تنم عن وجود الطبيعية القديمة في الداخل ، التي هي في نظر إلهنا القدوس كريهة ، والتي يجب أن نحزن من أجلها ونعترف بها ، والتي تحتاج بصفة مستديمة إلى دم المسيح لكي يكفر عنها. لكن هذه الحركة الثائرة إذا كبح جماحها لا تنمو ولا تصل إلى الخطية الفعلية التي نحن مسئولون عنها , والتي تتطلب أن نتوب عنها. أن الخطية هي عمل الإرادة ، وهي لا تتم إلا إذا استسلمنا لمؤثرات نجسة . إن المجرب ، إذ يقوم بتجربتنا عن طريق الحواس والعواطف ، فقد يلجأ إلى الإرادة ، التي هي الذات الحقيقية , فإن تراجعت الارادة إلى الوراء في الحال ، وصرخت قائلة : «كيف أفعل هذا الشر العظيم وأخطىء إلى الله ! » ، وتطلعت في الحال إلى المسيح لا تكون هنالك خطايا. أما إذا بدات الإرادة بأن تداعب التجربة ، وتضعف أمامها ، وتخضع لها ، فإننا عندئذ ننتقل من النور إلى الظلام ، ونكسر ناموس الله ، وندنس الثوب الأبيض ، ونجلب التأديب على أنفسنا . إننا معرضون لهذا طالما كنا في هذا العالم . قد نعيش سنوات طويلة حياة نقية بارة ورعة ، لكن إذا أرخينا نظرنا لحظة واحدة عن الله ، فإن ارادتنا تنهزم فجأة ، وقد نُسرع إلى الخطية مثل داود ، فتعكر سلامنا وتشوه جمال حياتنا في كل السنوات التالية.

والآن لنتأمل في أسرار النصرة على الخطية.

1- اذكر أن الرب يسوع يعمل دواماً لتطهيرك :

جميل أن نلاحظ الفعل المضارع في الكتاب المقدس. فهو يحدثنا بأن الله يغفر ، ويشفي ، ويفدى ، ويتوج ، ويشبع ، ويدين ، لكنه يقول أجمل الكل : « دم يسوع المسيح ابنه يطهرنا من كل خطية ». لقد طهرنا أولاً عندما رجعنا إليه تائبين عن الخطية ، وسوف يُطهرنا من آخر بقايا الخطية عندما نذهب إليه ، لكنه يطهرنا كل ساعة ، كما تندفع مياه النهر فوق الأحجار التي في قاعة فتطهرها بصفة مستمرة ، وكما تتدفق الدموع من العين بصفة مستمرة وتحفظها نقية براقة بالرغم من كل الغبار الذي في الجو المحيط . آن وجود الطبيعة الخاطئة شر يتطلب العلاج بصفة مستمرة ، وثورات وتحركات تلك الطبيعة أمام إيحاءات التجربة تتطلب التطهير بصفة مستمرة . والتساهل أمام بعض الأشياء التي لا نحسبها الآن خطية ، لكننا فيما بعد لما نزداد استنارة سوف نبغضها ونتركها ، هذه كلها تحتاج إلى الغفران ، لكن إزاء كل هذه الإعواز توجد لنا كفاية في الرب يسوع الذي يصرخ أمام الله دواماً نيابة عنا ، وحتى إن كنا لا نلجا إليه ، أو نتذكره ، أو ندرك حاجتنا إليه ، فإنه يتمم لنا ويكفينا بركته التي لا تنقطع .

2- احسب نفسك ميتاً لنداءت الخطية:

ليس للخطية سلطان على شخص ميت . إن ألبسته أفخر الثياب فإنها لا تستطيع أن تحركه ، لا تستطيع الدموع أو الابتسامات لا تستطيع الكلمات أو اللطمات أن توقظ تلك الجثة الباردة. لا يستطيع أي نداء أن يحركها إلا إذا سمعت صوت ابن الله. هذا هو موقفنا ازاء نداءات الخطية . الله يتطلع إلينا على أساس أننا قد صلبنا مع المسيح ومتنا معه . فيه قد انتقلنا من عالم الخطية والموت إلى مجد القيامة. هذا هو موقفنا في فكر الله . وواجبنا هو أن نتخذ هذا الموقف ونجعله حقيقياً بالإيمان . قد لا نحس بتغيير كبير ، لكن يجب أن نعتقد بأن هنالك تغييرا ، ويجب أن نتصرف على أساس وجود هذا التغيير ، عندما يسودنا هذا الاعتقاد فسوف نحس سريعاً بما تعتقد .. إذا فعندما تغريك التجربة بإغراءاتها قل : « إنني ميت امامك ، فلا تضيعي مجهودك امام شخص عديم الإحساس بتعويذك وسحرك ، وكما إنه ليس لك سلطان على ربي فليس لك سلطان على ». كذلك أنتم أيضاً احسبوا أنفسكم أمواتاً عن الخطية ولكن أحياء لله بالمسيح يسوع ربنا (رو6: 11).

3- اسلك في الروح . اثبت في الروح القدس :

إن الروح القدس حال في قلب كل مؤمن (رو 8: 9)، لكن للأسف كثيراً ما كان محبوساً في مجرد غرفة صغيرة مهملة خلف المنزل ، بينما ملأ العالم باقي البيت ، طالما كان هذا هو الحال فلا يُنتظر إلا الهزيمة المتكررة والمتاعب المتلاحقة ، ويبقى الروح القدس غير راض بهذا الوضع. طوبى للذين يخضعون للروح القدس عندئذ

يملؤهم كما تملأ مياه المد الميناء فترفع الصنادل عن الشاطىء الطيني. انه يسكن، فيهم ساكباً طيب محبة الرب يسوع ، ويعلن أعماق الله.

نستطيع دواماً أن نعرف الوقت الذي نكون فيه في خصومة مع الروح القدس ، فإننا عندما نحزنه يظلم الضمير في لحظة . وعندما نحس بهذا الظلام فيجب أن لا نستريح حتى نكتشف بنوره الوضاء سبب الظلام ، وعندئذ يجب أن نعترف بالظلام وننبذه . وعلاوة على هذا فإننا عندما نعيش في الروح ونسلك في الروح نجد أنه يعمل لمقاومة ثورات طبيعتنا القديمة وتحركاتها ، ويُعطل فعلها كما تُعطل المطهرات فعل الجراثيم في بيت موبوء ، وبذلك نفعل ما نريد (غل5: ١٧)

.(هذه من أثمن كلمات العهد الجديد . إن كنت لم تختبرها فإنني أتوسل إليك بأن تبدأ تختبرها في اختباراتك اليومية . « أسلك في الروح » ساعة فساعة بالسهر والطاعة لأقل ندا ءاته ، وعندئذ تجد أنك لا تكمل شهوة الجسد : « اسلكوا في الروح فلا تكملوا شهوة الجسد » (غل 5: 16)

4- حالما تشعر بالتجربة تطلع إلى الرب يسوع في الحال:

اهرب إليه بأسرع مما تهرب الفراخ الصغيرة لتحتمي تحت جناحي أمها عندما تبصر الجوارح في الجو . في الصباح ، قبل أن تترك غرفتك ، سلم نفسك إليه تسليماً كاملاً نهائياً ، واثقاً بأنه قادر أن يحفظ الوديعة التي تسلمها له. اخرج من غرفتك متأكداً بأنه بخوافيه يظللك و أنك تحت أجنحته تحتمي . وعندما يأتي المجرب تطلع إلى فوق في الحال وقل: " يارب يسوع ، إننى واثق أنك سوف تحفظني ".

هذا ما يُعبر عنه الرسول بولس بأنه هو استخدام ترس الإيمان . إن التطلع إلى فوق بالإيمان يضع الرب يسوع كترس بينك وبين المجرب . عندما تكرر هذه العبارة كل يوم مراراً كثيرة : « الرب يسوع يخلصني » ، فإنه لا يدع أي واحد من منتظريه يخزى (مز 25: ٣ » . "هو القادر أن يحفظكم غير عاثرين " (يهوذا ٢٤). قد تضغط عليك التجربة من الخارج ، وتشعر بتحرك الشر في الداخل ، ومع ذلك فإن إرادتك إذ تتطلع بثقة إلي الرب يسوع تبقى ثابتة لا تتحرك ولا تخضع للتجربة . فكل آلة من أسلحة الجحيم لا يمكن أن تنجح إذا صوبت نحوك.

5- على أنه يوجد ما هو أفضل:

لقد علمني هذا الدرس قس متقدم في السن إذ كنت أدرس في كلية اللاهوت في مدينة سوثهامبتن . لقد قال لنا بأنه عندما جَرَب مرة بعاطفة الانفعال والغيظ رفع نظره إلى فوق وطلب صبر المسيح ورقته . ومنذ ذلك الوقت أصبحت عادته كل أيام حياته الباقية أن يطلب من المسيح النعمة التي يحس أنها تنقصه . في ساعة الاضطراب كان يقول. " أعطني سلامك يارب ". وفي ساعات الغيظ والانفعال كان يقول : « صبرك يارب » ، وفي ساعات التجربة يقول. " طهارتك يارب " ، وفي ساعات الضعف يقول : " قوتك يارب ". كانت هذه لي رسالة من السماء. إلى ذلك

الوقت كنت أزيد على نفسي أثقالاً في محاولاتي بأن أنجي نفسي أما الآن فقد بدأت أن أحصل على بركات إيجابية جاعلاً كل تجربة جديدة فرصة للحصول على بركة جديدة . أيها القارىء العزيز ، جرب هذا. عندما كنت أتحدث هكذا في بعض الاجتماعات كان يوجه إلى هذا الاعتراض : « هذا صحيح بأن الرب يحفظني إذا تعلنعت اليه ، لكنني كثيراً ما أنسى أن أتطلع إليه في الوقت المناسب. هذا ينشأ من أحد أسباب ثلاثة:

اولا- ربما يكون القلب ، بل الحياة كلها ، لم تسلّم قط تسليما كلياً للرب يسوع المسيح . إن الهزيمة المستمرة تدل دائماً على الفشل في التقديس . يجب أن لا تتوقع بان يحفظك المسيح إلا إذا سلمت قلبك وحياتك تسليماً كلياً له ليملك على حياتك . لا يمكن أن تتمتع بحفظ المسيح إلا إذا كان مُلكاً . وهو لا يمكن أن يكون ملكاً إلا إن كان ملكاً على الكل.

ثانياً- أو ربما يكون السبب هو عدم السهر . إن كنا نضع أنفسنا - بتغافلنا وتراخينا - في طريق التجربة فإن لانتمتع برعاية المسيح لنا. إنه يوصى ملائكته لتحفظنا طالما كنا في طريق الحق ، لكن الملائكة لا تتلقفنا في كل مرة نريد أن نطرح أنفسنا من المرتفعات . " اسهروا وصلوا لئلا تدخلوا في تجربة ".

ثالثا- أو ربما يكون السبب هو عدم التغذية بكلمة الله . لا يمكن لأي إنسان أن يحيا حياة الإيمان دون أن يقضي الأوقات الطويلة في انتظار الله بدراسة الكتاب المقدس والصلاة . إن من لا يقضي وقتاً كافياً في العبادة الفردية في الصباح الباكر لا يمكن أن يسير مع الله طول اليوم . من أفضل الأمور لصحة النفس التأمل في كلمة الله أولاً ثم الصلاة . إنك في أشد الحاجة إلى أن تستمع إلى كلمة الله قبل أن تُسمع الله صوتك ، ولو أن كلاً من الأمرين يؤدي إلى الآخر . واظب على هذا ، وعندئذ تجد أنه من السهل بل من الطبيعي أن تتكل على المسيح في ساعة التجربة.

إن كنت - رغم كل هذه الإرشادات ضعفت أمام الخطية فلا تيأس . إن سقط خروف وخنزير في حفرة فان الخنزير يتمرغ فيها أما الخروف فإنه يثغو بكيفية مؤثرة إلى أن ينظف نفسه. اذهب في الحال إلى مخلصك الحنون ، وحدثه بأبسط العبارات عن سقوطك وحزنك واسأله أن يغسلك في الحال ويرد نفسك ، وفي الوقت الذي تسأل فيه ثق بأن طلبتك قد أجيبت ، ثم اذهب إلى كل من أخطأت معهم أو أسأت إليهم ، واعترف لهم بخطئك ، وهكذا يعود سلام الله الذي يفوق كل عقل لكي يستقر في قلبك ويحرسك كملاك حارس . إن عشت هكذا متحرراً من سلطة الخطية تجد أن السيد يبدأ بان يستخدمك بكيفية لم تعهدها من قبل ، ويعلن لك أسراره ، ويمتعك بالحياة المستترة معه في الله. أيها القارىء العزيز ، أرجو أن يكون هذا هو نصيبك.

منقول مع التعديل والتنقيح من كتاب (أضواء على مهمة الحياة) لسنة 1975

الرب يستخدم هذا الموضوع لمجد اسمه ولخلاص النفوس الغالية

صفوت زكي سمعان